11 me Année No. 507

Lundi - 22 - 3 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٥٠٧ «القاهرة في يوم الإثنين ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

فلسفة الترجمة

للأستاذ عباس محمود العقاد

مر بمصر في الشهر الأخير كاتب من أشهر كتاب السير والتراجم بين الإنجليز المصريين ، وهو الأستاذ فيليب جوداللا Philip Gudalla صاحب سيرة شرشل وسيرة بالمرستون وسيرة نابليون الثالث بطل الإمبراطورية الثانية ، وسيرة ولنجتون القـائد الإنجليزي المعروف ، ويحسبها بعضهم خير ما كتب في مادة السير والتراجم على الإجمال ، وهذا عدا التراجم القصيرة التي كتبها لـكثير من القادة والأدباء من الإنجليز وغير الإنجليز

وقد دعاه « الاتحاد الإنجليزي المصري » بالقاهرة إلى المحاضرة فيه ، فاختار للـكلام موضوعاً هو أقرب الموضوعات إليه وأولاها أن يخاطب السامعين والقراء فيه وهو « عمل المترجم » أو عمل الـكاتب الذي يُدوِّن تاريخ العظماء ومن لهم تاريخ يستحق التدوين

والحق أنه أدى عمل المحاضر في الأندية العامة أحسن أداء ، فلم يكن متمعقاً معاظلاً يتعب السامع الذي يتتبع الحديث ويريد أن يفهمه وهو يصغي إليه ؛ ولم يكن هيناً يقول ما ليس يستحق الإصغاء ولا يخرج السامع منه بمحصول يفيد ، بل قال ما يفيد ويمتع ، وأودع حديثه السهل زبدة الآراء التي يستصوبها من

وجهة نظره فى صناعة الترجمة وكتابة السير بأسلوب يخيل إلى من يستخفه أنه تسلية ساعة، وهو فى الواقع خلاصة حياة، بل خلاصة حيوات إذا نظرنا إلى التراجم الكثيرة التى خرج منها بهذه الخبرة الطويلة

فالترجمة عنده ليست « بقصة » طلقت اللهو والعبث ولبست لبوس الوقار والاحترام ! ... ولكنها تاريخ من التواريخ يطبق على الأفراد بدلاً من تطبيقه على الأوطان والأقوام

وهى من ثم جديرة بأكبر عناية فى العصور الحديثة التى شاع فيها تهوين الفرد وتعظيم شأن القوى والعوامل الجامعة، فإن الفرد ولا ريب يدل على شىء كثير، لأنه يرتفع على القمة فيشير إلى اتجاه التيار، فإن لم يكن هو الفعال لكل شىء فى زمانه فهو على التحقيق دليل على مجرى الزمن وعلى ما يكمن وراءه من الدوافع والمؤثرات

وقال : إن الفرق بين فرنسا قبل نيف وثلاثين سنة وفرنسا اليوم إنما هو فى جملته فرق بين رجلين : بين فوش وبيتان ! كما أن تاريخ انجلترا فى السنوات الأخيرة إنما هو مظهر الفرق بين شمبرلين وشرشل

ولما تعرض لفن السيرة أو فن كتابتها حذر الكاتب من فتنتين تغريانه من جانبين مختلفين : أحدهما جانب البلاغة الأدبية، والآخر جانب النظريات النفسية أو « السيكولوجية »

فليس الغرض من الترجمة إخراج قطعة من الأدب البليغ، وإن صح أن تجىء أدباً بليغاً فى عرض الطريق

وليس الغرض منها عرض النظريات النفسية التى قلما تفضى إلى يقين، لأنها بين شىء مفروض معلوم من قبل، وشىء لا نفرضه ولا نعلمه على الإطلاق، وفى كلا الأمرين مضلة تستلزم التحذير

إنما الترجمة عمل « يدوى » كما يقال إذا شئنا أن نقابل بينها وبين الخلق الخيالى أو الخلق المثالى الذى يتطوح فيه بعض رجال الفنون . فى حدود هذا العمل المتواضع ينبغى أن يقبع المترجمون !

ثم حذر الكاتب من خطأين آخرين عند الكتابة عن الأقدمين : خطأ النظر « الفوقانى » أو النظر إلى أعلى وهو ينتهى إلى الإطناب فى الحماسيات والبطوليات وتخيل الأقدمين كأنهم جيل من العمالقة أو الملائكة العلويين

وخطأ النظر « التحتانى » أو الترفع عن الأقدمين كأنهم أطفال فى حاجة إلى التربيت والإغضاء، مع شىء من الابتسام والاستهزاء

وإنما النظرة الوسطى هى النظرة القويمة، أو النظرة السواء لا إلى الأعلى ولا إلى الأدنى، فنراهم بالعين التى تنظر إلى الحياة اليومية ولا تعيبها مبالغة فى الإكبار أو مبالغة فى التصغير

وقال : إن الكاتب الذى يشغل ذهنه فترة طويلة بالبحث فى سيرة عظيم من العظماء لا يلبث أن يشعر عامداً أو غير عامد أنه تقمص ثياب « سكرتير خصوصى » لذلك العظيم ... فهو يجاريه فى ميوله وبدواته، ويترقب ملاحظاته وإشاراته، فيفوته من ثم أن يستقل بذهنه فى النظر إليه . وهذه أيضاً فتنة من فتن الترجمة المغرية للكتابة، عليهم أن يتقوها جاهدين ليكتبوا عن عظمائهم عادلين مستقلين

وعلى هذا النمط كانت محاضرته طريفة مفيدة، عليها الطابع الشخصى الذى ينم على تجارب الكاتب نفسه ويصطبغ بصبغة منه، وفيها الأحكام العامة والآراء الأساسية التى تصلح للمشاركة والاقتباس

وقد لقيناه فى منزل صديقنا الدكتور هيكل باشا فسرنا منه أنه مسرور من الجمهور المصرى المثقف الذى تحدث إليه، وأنه يلاحظ أنه لم يشعر بفرق قط بين الجمهور الذى كان يتحدث إليه فى البلاد الإنجليزية والجمهور الذى تحدث إليه فى القاهرة، فالمصريون كما قال يضحكون فى مواضع الضحك التى يفطن لها الإنجليز، ويشبهون نظراءهم من السامعين هناك فى التفاتات الذهن ومواقف التعقيب عند الإصغاء إلى حديث

قال : والضحك علامة الحضارة، لأن الشعوب البربرية لا تضحك، فذكرنا فى تلك اللحظة قولة نيتشه إن الضحك من نكتة واحدة هو أول الدلائل على تقارب فكرين . وقلنا : بهذه العلامة نثق كل الثقة أن المصريين أعظم المتمدنين !

وسألناه : ألا تنوى أن تكتب شيئاً عن مصر بعد هذه الرحلة ؟ فقال مبتسما : لا أزعم أننى أكتب عن وطن بعد رحلة أيام ... ثم قال : ولعلى أنا الرجل الوحيد الذى قضى فى روسيا أسبوعاً ولم يكتب عنها سفراً طويل الصفحات

* * *

تلك خلاصة مقربة لجلة الآراء التى تشتمل عليها فلسفة الترجمة فى رأى الأستاذ جودالالا ، وهى آراء نوافقه على معظمها ولا نكاد نخالفه إلا فى الميل إلى البطولة أو إلى الصبغة الأدبية ، فإذا استطاع الكاتب أن يستروح نفحة البطولة من مترجمه وأن يبثها فى قلوب قرائه فهو فى اعتقادنا عمل لا ضير فيه ، بل هو واجب مطلوب مفيد لا غبار عليه

وكذلك إذا استطاع أن يرضى ذوق الفن ويرضى الحقيقة فى وقت واحد فتلك غاية حرية أن تتطاول إليها أعناق الكتاب ، لأن تجميل الحياة بالصدق الفنى غرض من الأغراض النبيلة التى نخلص إليها من طريق التراجم كما نخلص إليها من طريق الشعر والنحت والتصوير والغناء ، فكل حياة خلت من الجمال الفنى ومن الصورة المثالية التى يسبغ عليها ذلك الجمال هى حياة فاترة أو حياة ناقصة لا تستحق أن تعاش ، وإنما مقياس الحياة التى تكتب عنها التراجم والسير هى الحياة التى تعاش

وفيما عدا ذلك نوافق الأستاذ جودالالا فى فلسفته التى اختارها بعد التجربة الطويلة لصناعة الترجمة وتمثيل العظماء

نوافقه ونحن نعلم صعوبة هذه الموافقة فى زمن كثر فيه المنكرون لقيمة الفرد وقيمة العظمة ، وتردد فيه القول بسلطان العوامل الاجتماعية كأنه هو السلطان الذى ليس وراءه سلطان

وقد رأينا فعلاً كاتباً انجليزياً يعقب على محاضرة الأستاذ جودالالا من هذه الناحية ، ويسأله سؤالاً يلخص مواضع اعتراضه فيقول : هل هتلر ظهر فى البيئة الألمانية لأنها بيئة مقلوبة أو أن هذه البيئة انقلبت لأن هتلر ظهر فيها ؟

والظاهر من سؤال المعترض أنه يأخذ بالقول القائل إن الفرد نتيجة منفعلة ، وليس بسبب فاعل فى الحوادث التاريخية ، وأن العظيم لا ينبغ فى أمة إلا إذا تمهدت له دواعى الظهور من تكوين تلك الأمة ؛ فالعوامل الاجتماعية إذن هى موضع البحث والالتفات ، وليست عظمة العظماء ولا جهود الأفراد

وهـذا مذهب مبالغ فيه قد جنح إليه الاشتراكيون على الخصوص لأنهم يردون العوامل كلها إلى المجتمع وعناصر تكوينه ومعيشة أبنائه ، ولكنهم مهما يبالغوا فى هـذا فلن يستطيعوا أن يزعموا أن العظماء والصغراء سواء ، وأن النوابغ لا يقدرون على عمل يعجز عنه المحرومون من النبوغ . ومتى كان مسلما أن النوابغ يعملون وأن عملهم لا يذهب سدى فهذا هو المهم الذى يستحق النوابغ من أجله دراسة الدارسين وإعجاب المعجبين

يسأل السائلون الفارغون : من صاحب الفضل فى السياحة ؟ المركب أو البحر أو الريح ؟

وهذا سؤال فارغ كما قلنا لأن السياحة كلمة لا معنى لها إذا انفرد المركب أو انفرد البحر أو انفردت الريح

ففى الساعة التى نلفظ فيها كلمة السياحة البحرية تتمثل لنا كل هذه العناصر مجتمعات ، ولكنها تتمثل أو لا تتمثل تعجز كل العجز عن إنكار حق المركب فى إتمام السياحة ، وحق المسافر فى الاختيار بين مركب ومركب ، وحق الشركات فى إنشاء المراكب ورصد المسافات كيفما كانت البحار والرياح .

وكذلك العظمة المشهورة كلمة تستلزم وجود الآدميين الذين يشتهر بينهم العظيم بغير فلسفة ولا تعمق ولا استطلاع لمغيبات . ولكن ماذا فى هذا مما ينفى أن العظيم أفضل من الصغير ، وأن هذه الأفعال جديرة بالتقديم والتأخير فى سير الأمور ؟

فالفرد شىء والعوامل الاجتماعية شىء ، ومن قال إن الفرد لا يهم فقد أنكر الغاية من إصلاح المجتمع كله ، لأن كل إصلاح لا ينتهى إلى الاهتمام بالأفراد فهو إصلاح تركه وإنجازه سواء .

عباس محمود العقاد

الشعب هو المسئول
عن الإصلاح الاجتماعى
للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات

ليتك شهدت المناظرة التى أقيمت بكلية الآداب فى مساء الأحد الماضى ، لترى مبلغ ما وصلنا إليه من حرية الفكر والرأى ، ولترى كيف يستبيح ناسٌ إيذاء إخوانهم بلا استبقاء ، ولترى أيضاً كيف تطغى العامية الفكرية على بعض من وُسموا بالتثقيف

وسأصف جوّ تلك المناظرة بإيجاز ، أداء لحق « الرسالة » ، فمن قرائها ألوفٌ يحبون أن يعرفوا كيف يشتجر القاهريون فى ميادين الحجج والبراهين

كانت المناظرة برياسة معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية ، وقد سُبِقت بحفلة شاى أعدها عميد كلية الآداب ترحيباً بالوزير وبالمتناظرين وكبار المدعوين

وبعد الشاى رأينا الوزير ينتحى ناحية ليراجع خطبة طويلة متصلة بموضوع المناظرة ، فعرفت أننا سنقضى شطراً من الليل فى نقاش وجدال ، وقد هممت بمراجعة الوزير ، ثم تركت الأمور تجرى إلى مداها المرسوم فى ضمير الغيب

وحين وصلنا إلى المدرّج الأكبر بالكلية رأينا جماهير كثيرة وعاينا قيظاً قد اقتُبست ناره من وهج القلوب ... ألقى العميد كلمة ترحيب بالوزير ، وألقى أحد الطلبة كلمة ثانية ، ورأى الوزير أن يطوى خطبته لضيق الوقت ، ثم دعا المتناظرين إلى الكلام

كنت الخطيب الأول ، وكانت خطبتى مكتوبة ، ولكنى رأيت الجوّ يوجب أن أعرض الموضوع بصورة خطابية ، وفى دقائق ، لأستبقى الفرصة الباقية ، فرصة المنبر الأكبر على صفحات « الرسالة » الصديق

لن أحدثك عما قوبلت به خطبتى من الإعجاب ، وإنما أحدثك عن مُناظر قصر خطبته على مناوشتى بأساليب يمجّها الذوق ، مع أن المناظرة فى كلية الآداب ، وبرياسة وزير الشؤون الاجتماعية !

حضر هذا المُناظر وفى قلبه أشياء ، فهو لن ينسى أنى ألجمته منذ عامين فى محاضرة ألقاها بأحد الأندية تأييداً لفكرة وهمية نبتت فى بعض خرائب الرءوس ، وهو لا يستطيع نشر تلك المحاضرة بأى حال ، لأنها من صنوف البهتان

كان الظن أن يتناسى حضرة المناظر تلك المعركة الأدبية ، وأن يجعل همه الأول والأخير فى شرح الرأى الذى ارتضاه فى مناظرة ذلك المساء ، ولكنه جعل همه فى التحرش بالدكتور زكى مبارك وتأليب الجمهور عليه بطريقة عدّها الحاضرون ضرباً من التحدى الممقوت

ليست المناظرة قتالاً بين شخص وشخص ، وإنما هى نضال بين رأى ورأى ، وليست المناظرة فرصة للتشفى ، وإنما هى فرصة للتصافى

أترك هذا وأذكر أنى أعجبت فى ذلك المساء بخطيبين مجّدا الفكر والرأى ، أحدهما الأستاذ صالح جودت ، وثانيهما الأستاذ حسين دياب ، ومع أنهما جَرَيا فى ميدانين متعارضين فقد استطاعا الظفر بالحمد والثناء

قال صالح : إن اعتماد الشعب على الحكومة تحوّل إلى طمع فى الحكومة . وهذه فكرة دقيقة جدًّا

وقال صالح أيضاً : إن الذين يقيمون الحفلات الخيرية لمعونة الفقراء لا يفتحون مغاليق الجيوب إلا بفضل المراقص المسبوقة بأكواب الصهباء

وهذا كلامٌ يجب أن يقال . ولو مرةً واحدة ، عساه ينفع بعض الجمعيات

وقال حسين : إن الحكومة هى التى تُسأل عن الإصلاح الاجتماعى ، لأن عندها وسائل يعجز عن مثلها الشعب ... وقال أيضاً : إن يقظة الحكومة لا تغنى الشعب عن الاهتمام بما يجب عليه فى تدبير أمور المعاش ... وهذا وذاك من الكلام النفيس

أما لغة المتناظرين فكانت سليمة ، بغض النظر عن اللحن الضحك ، اللحن الذى تكرر ثم تكرر من الخطيب اللحان ، وهو فلان !

أيهون منبر كلية الآداب إلى الحد الذى يسمح بأن يعلوه خطيب لا يعرف الأوليات من قواعد اللغة العربية ؟

اتقوا الله يا ناس فى منبر كلية الآداب !

ومن ذلك الخطيب ؟

سأذكر اسمه يوم يغيّر ما بنفسه بعد قراءة هذا الدرس

سأذكر اسمه يوم يعرف أن المناظر لا يكتفى بالقصاصات من المجلات

إن خطبة عميد كلية الآداب لم تزد عن أربعة أسطر ، وهو مع ذلك تلاها تلاوة ليأمن الخطأ فى الإعراب ، أما فلان فقد فعل بنفسه ما لا يفعل الأعداء

ثم ماذا ؟ ثم أعلن معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق أن رأيه كوزير أن يستزيد الحكومة من المسئوليات . فقلت : ومن واجب الشعب أن يتحمل جميع المسئوليات

ثم ؟ ثم أسجل خطبتى فى « الرسالة » لتُسجَّل فى ضمير الزمان ، وليعرف من لا يعرف أن للمصريين جذوات فكرية مقبوسة من نار الخلود .

* * *

أيها السادة :

أحييكم باسم الفكر والرأى ، ثم أشكر من تفضلوا فدعونى للاشتراك فى هذه المناظرة ، فقد هيأوا فرصة جديدة لتوضيح نظرية نفر منها الجمهور حين عرضتها فى بعض الجرائد والمجلات ، وهى النظرية التى تقول بأن الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع ، وبأن الشعب هو المسئول فى جميع الأحوال عما يتعرض له من متاعب وصعاب

وسأعرض تلك النظرية فى هذا المساء بأسلوب جديد ، راجياً أن تراعوا أننا فى رحاب كلية الآداب ، فلا يثور من تعودوا الثورة على الحق فى المناظرات الماضية ، وراجياً أن تذكروا أن ما تضيق به صدوركم اليوم قد يصبح من المألوفات بعد حين

أما بعد فمن المسئول عن الإصلاح الاجتماعى : الشعب أم الحكومة ؟

فى شرح هذه المعضلة أقول :

أنا أقبل إلقاء جميع المسئوليات على الحكومة ، إذا صح عندى أن الشعب طفلٌ لا يفرق بين التمرة والجمرة ، على نحو ما كانت الحال فى طفولة الشعوب

أما اليوم وقد اكتملت قُوى الشعب وتخطى العهود الفطرية فمن الواجب أن يُسأل عن كل شىء ، وأن يكون إليه الأمر فى جميع الشؤون

وما السبب فى إنشاء الحكومات ؟

افترض جان جاك روسُّو أن الخلائق اجتمعت يوماً للتشاور فى الصورة التى تصان بها الحياة الاجتماعية ، وأن كل فرد تنازل عن جزء من حريته ، ليتكون من تلك الأجزاء قوة تحمى المجتمع من عدوان الأقوياء على الضعفاء

وقد آن أن نسترد ما تركنا من حريتنا باسم صيانة المجتمع . آن أن نكرم الإنسانية بأن نُسأل أمام الضمائر لا أمام القوانين ، فإن من العار على الإنسانية أن يطول احتياج بنيها إلى حكام يصدونهم عن تقارض الظلم والاضطهاد

كل أمة تحتاج إلى وزارة اسمها وزارة العدل ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن الأمم لم تصل إلى الرقى الصحيح ، ومعناه أن بنى الناس بعضهم على بعض خطر يرتقب فى كل حين

لا مانع من أن تكون فى الدنيا محاكم ، على شرط أن لا يُحتكم إليها إلا فى القضايا التى تحتاج إلى اجتهاد القضاة ، أما القضايا التى يقال فيها إن الحلال بين والحرام بين فاحتياج الإنسانية فيها إلى القضاة ضرب من الإسفاف

المثال الصحيح للأخلاق السليمة هو أن تعرف ما لك وما عليك ، فتحب لأخيك ما تحب لنفسك ، وتبغض لأخيك ما تبغض لنفسك ، ويكون رأيك فى تقدير المشكلات الاجتماعية هو الميزان

قال فلاسفة العرب : « الإنسان مدنى بالطبع » ، ومعنى هذا أنه يكره التوحد الوحشى ، ويميل إلى الوداد والإخاء ، وكذلك كان حاله بالفعل ، لولا بدوات ترده إلى عهود الوحشية من حين إلى أحايين

ويقول التاريخ الاجتماعى : إن الدنيا فى عهود الظلمات كان فيها شهود يُستأجرون كما يستأجر الفتاك . وقد انقرض هذا الصنف من الناس أو كاد . وتلك بداية لطيفة ، فقد نستغنى يوماً

عن الحاكم ، وقد يصبح كل فرد وهو مسئول أمام الضمير لا أمام القانون

أليس من العيب على الإنسانية أن تحتاج إلى جيوش من القضاة والمحامين فى شؤون يحكم فيها الضمير قبل أن يحكم القضاء ؟

فى بضع مئين من السنين يتحول بعض الحجر إلى مرمر ، وقد مرت ألوف وألوف من السنين ولم يتحول الإنسان إلى ملك

فبأى وجه تلقى الإنسانية بارئها يوم يقوم الحساب ؟

الحكمة اليونانية تقول : اعرف نفسك بنفسك

والحكمة الإسلامية تقول : الإثم ما حاك فى صدرك

ونحن مع هذا وذاك لا نسير فى الطريق إلا معتمدين على أسندة من رعاية الحكومات ... كأننا خلائق تحبو فى فجر التاريخ !

أقدم أمة أقيمت فيها حكومة هي الأمة المصرية ، وكان ذلك من أبواب المجد ، يوم كان النظام حلما يداعب خيال الإنسانية

وستكون مصر أول أمة تعيش بلا حكومة ، وسيكون ذلك أعظم آيات المجد ، لأنه الشاهد على السمو الذى تغنى به الحكماء ، جيلاً بعد جيل

نحن سبقنا جميع الشعوب إلى إقامة النظام الحكومى ، يوم كان أصلح أداة لكبح الطغيان الفردى والاجتماعى

وسنسبق جميع الشعوب إلى الاستغناء عن النظام الحكومى ، لأنه يطعن فى قدرة الإنسانية على مغالبة الأهواء

وماضينا فى التاريخ القديم يطمعنا فى تحقيق هذا الأمل الجميل ، فنحن الذين أقمنا النظام الشمسى قبل أن تعرفه أمم الشرق والمغرب . ونحن الذين غزونا بالروح أمماً لم تكن تغزى بغير السيف . وقد وصلت فنون أجدادنا إلى أمريكا قبل أن يكتشفها كولومبس بأزمان وأزمان ... ألم تسمعوا أن أمريكا وجدت فيها آثار بها ملامح من الفنون المصرية ؟

وتحرش بنا الأوربيون متجمعين عشرات السنين لعهد الحروب الصليبية ، فرددناهم على أعقابهم بعد أن زودناهم بأصول المدنية الشرقية ، وهى أساس المدنية الغربية

ونحن كنا الحصون التى صدت غارات المغول ، ومن قبل ذلك بقرون أوحينا إلى الإسكندر الأكبر أن يتجشم متاعب السفر إلى الواحات ليزور معبداً يجمع بين الرحموت والجبروت ، وهو معبد آمون ، آمون الذى دخل اسمه جميع اللغات فصار «آمين» التى تقال عقب الدعاء

أرضنا هى الأرض ، وسماؤنا هى السماء ، ومجدنا هو المجد ، وخلودنا هو الخلود

فما الذى يمنع من أن نكون أول أمة تعتز بالقوة الذاتية ؟

ما الذى يمنع من أن نكون حكام أنفسنا فى جميع الشؤون ؟

وما الذى يمنع من أن نسبق جميع الأمم إلى فهم الغاية الصحيحة من قوة الروحانية ؟

لكل أمة عذر فى التخلف ، ولا عذر لمصر فى التخلف ، وهى أقدم حجاز بين الحق والباطل والهدى والضلال

وتاريخنا الحديث لا يقلُّ عظمةً عن تاريخنا القديم ، فقد حيكت حولنا الدسائس الدولية بالألوف ، وكانت بلادنا مصطرعاً لأشتات من الجيوش ، فهل غُلبنا فى الميادين الفكرية ، حين غلبنا فى الميادين الحربية ؟

أين الدولة التى تستطيع أن تزعم أنها نقلت القلب المصرى من مكان إلى مكان ؟

أين الدولة التى استطاعت أن تصدَّ الفكر المصرى عن التغلغل فى آفاق الشرق ؟

لبلادنا خصائص أصيلة أيسرُها القدرة على قهر عوادى الاضمحلال ، وكيف تضمحل أرض نجد فيها الماء فى كل بقعة ، والله جعل من الماء كل شيء حيّ ؟

أول كُفر عرفته الخلائق هو كفر المصريين ، وأول إيمان عرفته الخلائق هو إيمان المصريين ، وأشهر الأفراح أفراح المصريين ، وأشهر الأحزان أحزان المصريين

هل عرف تاريخ الجاهلية أعظم من المعابد المصرية ؟

وهل عرف التاريخ الإسلامى أروع من المساجد المصرية ؟

وهل يوجد للفلاح المصرى نظيرٌ فى أى أرض ؟

وهل يوجد ماء أعذب من ماء النيل ؟

وهل عُرفت العظمة فى المبانى قبل أن تُعرف فى هذه البلاد ؟

وهل يوجد فى الدنيا ناس يفوقون المصريين فى حلاوة الشمائل ولطافة الطباع ؟

لم يبق إلا أن نتفرد بالابتكار الأخير ، وهو الابتكار الذى

عجز عنه من اهتدوا إلى البخار والكهرباء ، وهذا الابتكار هو الكشف عن الجوانب المستورة من الأرواح والقلوب ، الجوانب النقية ، ففي قلب كل رجل غابة عذراء لا تغرّد فوق أدواحها غير بلابل الطهر والصفاء

إجمعوا جوعكم ، واستعينوا بفكركم ، لتكتشفوا الواحة المجهولة فى الضمائر المصرية ، فقلبي يحدثنى بأن فى هذا الوادى سرائر مطوية تفوق الأحجار التى يشقى فى البحث عنها علماء الحفريات !

أنفقوا فى البحث عن الضمائر الحية مِعشار ما تنفقون فى البحث عن الأحجار الميتة ، واعلموا أن مصر لن تموت ، لأنها مؤيدة بروح الحق الذى لا يموت

أين مصر التى عرفناها أو جهلناها ، وأين مكانها الأصيل فى تاريخ الوجود ؟

ستكون أول أمة تعيش بلا حكومة ، لتقيم البرهان على أنها فوق الشبهات والأضاليل

قد تقولون : إن واقع الحياة لا يعرف هذا الخيال ... وأقول : إن الأمر فى هذه الأيام يؤيد ما تقولون ، فلو عاشت الأمة بلا حكومة أسبوعاً أو أسبوعين لانتشرت الفوضى وعمّ الاضطراب وشاع الفساد

ولكنى مع هذا أجزم بأن الحكومة لا تستطيع بأى حال رعاية أمة فقيرة فى نواحى التماسك الذاتى والاجتماعى ، فخضوع الأمم للشرائع والقوانين لا يكون خضوعاً شريفاً إلا إن صدر عن إرادة ذاتية مردُّها إلى أدب الأحرار لا أدب العبيد

ونحن فى مصر نفهم هذه المعانى ، فوزير المعارف يعتمد على ضمائر المدرسين ، ووزير العدل يعتمد على إيمان الناس بأدب المعاملات ، وكذلك يقال فى الأمور التى يعالجها سائر الوزراء

قد سمعتم أو قرأتم أن وزارة الوقاية وزارة وقتية تنتهى مهمتها بانتهاء الحرب ، فما المستقبل الذى ينتظر وزارة الشؤون الاجتماعية ؟

أنا أقدِّر أن مهمتها ستنتهي بعد أمدٍ قريب ، يوم يفهم الشعب واجبه فى الإصلاح الاجتماعى ، ويوم يدرك أن احتياجه إلى عون الحكومة فى تلك الشؤون ضربٌ من الفقر فى الروح والوجدان

وهذا المستقبل لن يكون بعيداً كما نتخوف ، فالشواهد تنطق بأن ضمير الأمة سيستيقظ بعد طول السبات ، ولعله استيقظ بالفعل . ألا ترون أن الأمة تتسامى إلى أمور كانت قبل قبل اليوم من تهويل الخيال ؟

قبل أن تشب الحرب ويغلو الورق كان متوسط ما تخرج المطابع المصرية فى كل يوم اثنى عشر مجلداً ، وكان لصحافتنا المقام الثالث بعد الصحافة الإنجليزية والأمريكية ، وكنا أول أمم الشرق فى إحياء الذخائر العربية والإسلامية ، وسيكون لنا بعد الحرب ميادين يمتز بها العقل والبيان

ومعنى هذا أن يقظة الذكاء المصرى يقظة حقيقية ، وأن تحليقاتنا فى سموات الفكر والرأى لم تكن أضغاث أحلام ، فكيف تستبعدون أن يستيقظ الضمير المصرى فيغنى الحكومة عن التعب فى مداوة الأمراض الفردية والاجتماعية ؟

إنْ تعادل الضمير والذكاء فى مصر فستصبح الأمة المصرية أمة نموذجية ، وستبدع فى الأدب النفسى آيات لا نظائر لها ولا أمثال

إن أفضل الفروض فى وصف الصلة بين الحاكمين والمحكومين هى أن تشبَّه بالصلة بين الآباء والأبناء ، فهل سمعتم أن أباً يحب أن يكون ابنه عالة عليه فى جميع الشئون !

ونحن اليوم فى مطلع حياة جديدة ، ولا بد لنا من رياضة أنفسنا على الاضطلاع بحمل جميع الأعباء

وسنجاهد ونجاهد إلى أن تشعر الحكومة أنها تعيش فى أمة مثالية لا تحتاج إلى حكام فى أى ميدان

سنجاهد ونجاهد إلى أن تنلق الحاكم بفضل اعتماد الشعب على الاحتكام إلى الضمائر والقلوب

لن يطول صبر الإنسانية على هذه الحياة الوضيعة ، وهى الحياة التى لا يزجر فيها منزجر إلا خوفاً من سطوة القضاء

إن الاستقامة السليمة هى التى تنبعث من النفس ، كما يستقيم العود حين تكتمل قواه ، أما الاستقامة التى توجبها قوى خارجية فهى استقامة العود الذى يُستر ضعفه بأسندة من الجريد ، وهذا حال الأخلاق التى لا تستقيم إلا بأسندة من القانون

إن الجوارح الروحية تعطلت بسبب الاعتماد على الحكومة

فى مختلف الشؤون ، وإن المواهب النفسية تهدمت بسبب التفريط فى رياضتها على النفاذ والمضاء

الأمم الضعيفة تكل أمورها إلى الحكومات لتستريح من الجهاد ، أما الأمم القوية فتنهض بأحمالها الثقال لتتشرف بالجهاد

وآفة الاعتماد على الحكومة آفة مخوفة على الأمة المصرية ، ويجب النص على هذه الآفة بذكر بعض الشواهد ، عسانا نزهد فيما استمرأناه من التواكل البغيض

التعليم كله ملقى على كاهل الحكومة ، وما فكر فردٌ أو جماعة فى إنشاء مدرسة إلا على نية التبعية لوزارة المعارف ، بأى صورة من صور التبعية

وقد نهضت الأمة يوماً فأنشأت الجامعة ، ولكن النهوض ثقل عليها فأسلمتها إلى الحكومة !

وأنشأت الجمعية الخيرية الإسلامية بضع مدارس ، ثم أسلمتها إلى الحكومة

ومنذ أعوام تعرضت مدرسة الأقباط بالقاهرة لمتاعب مالية ، فخذلها أعيان الأقباط ولم ينجدها غير الحكومة

فما هذا الفقر المدقع فى العزائم والنفوس ؟

أتكون أحوال التعليم كهذه الأحوال فى البلاد الإنجليزية والأمريكية ؟

وكيف والتعليم فى تلك البلاد ترجع أكثر شؤونه إلى هيئات مستقلة عن الحكومة كل الاستقلال أو بعض الاستقلال؟

واعتمادنا على الحكومة ظهر بصورة بشعة يوم خيف على « بنك مصر » من زعازع الحرب ، فالحكومة هى التى تقدمت لحماية البنك ، وبذلك ضاعت فرصة على أغنياء الأمة ، وأى فرصة ؟

لقد كان فى مقدور الأغنياء أن يتعاونوا على رعاية تلك المؤسسة القومية ، وهى رعاية مضمونة الربح ، وكان من المؤكد أن تدر عليهم الخيرات فى أعوام الحرب ، ولكنهم تهاونوا تهاون العاجزين عن إدراك ما ينتظر من النافع ، وتركوا الحكومة تدبر الأمر كما تريد

وآفة الاعتماد على الحكومة زلزلت الثقة بالكفاية الفردية ، وهل يتهالك المتعلمون على وظائف الحكومة إلا ليقال إنهم وصلوا إلى شيء ، فى بلد يرى الوظيفة كل شيء ؟

كل ما رأيناه من هذه النواحى أهون من الناحية التى تساق فى مناظرة هذا المساء ، فإن ناساً يرجون أن تنوب الحكومة عن الأمة فى الإصلاح الاجتماعى ، وقد يرجون غداً أو بعد غد أن توزع الإصلاحات الاجتماعية والفردية فى بطاقات ؛ وقد يرجون أيضاً أن تنوب الحكومة عنهم فى اختيار ألوان الطعام والشراب !

الأساس الذى أراه لبناء المستقبل أن تكون روح الشعب وروح الحكومة ممثلة فى كل فرد ، فيكون الرجل حاكما ومحكوماً فى آن ، حاكما لهواه ومحكوماً لنهاه ، ثم تتلاقى قوى الأفراد كما تتلاقى القطرات الطاهرة من الغيوث فتخلق نهراً فى مثل عظمة النيل

أنا أنتظر اليوم الذى يقال فيه على سبيل التفكه بحوادث التاريخ : كان فى الدنيا حكومات وبرلمانات ، وكانت الدنيا فى بعض العهود ميادين قتال بين الآراء والأهواء

فإن لم نر ذلك اليوم ، وهو فى رأيى قريب ، فلنخلقه فى صدورنا ، ولنكن رجالاً يستفتون ضمائرهم فى جميع الشؤون ، ولا يخافون الناس ، لأن النزاهة الروحية تخلق الأمان والاطمئنان ، ولأن الصدق يحمى صاحبه من عدوان الباغين والظالمين .

وسبحان من لو شاء لحقق هذا الرجاء .

زكى مبارك

حكم فى الجنحة العسكرية ٣٤ أبو قرقاص سنة ١٩٤٣ بجلسة ٢٢ /٢ سنة ١٩٤٣ بحبس وديع ملك ميخائيل كاتب بشركة الغاز المصرية ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه وغلق المحل ثلاثة أيام لبيعه كروسين بسعر أزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة رقم ١١٦٢ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٢ بحبس عبد الفتاح علفاية ثلاثة شهور مع الشغل والمصادرة والنشر والتعليق والغلق لبيعه (اللحم) بازيد من السعر المحدد

حكم فى القضية ١٠١ سنة ١٩٤٣ ضد أحمد صبر فخرى عبد الموجود غزالى بحبسه ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه ونشر الحكم وتعليقه وإغلاق المحل ثلاثة أيام ومصادرة القماش موضوع الجريمة لامتناعه عن بيع قماش بالسعر المحدد

قلمي !!

للأستاذ « د . خ »

إليّ إليّ يا قلمي فاكتب صلاتي وخُطَّ نُسكي !

إن غِناءك القديم يُفعم قلبي بذكريات الجمال والحب ، فاصدحْ كعهدك ، ورقرق أناشيدك ، واسكبْ في روحيَ الظامئةِ أغاريدك !

طالما غنّيتَ يا قلمي الحبيب فأصْغتِ السماء ، وتهلل البدر ، ورقصت الملائكة ، واهتز الورد ... فماذا أصابك ؟

هات يا قلمي كأسَ بيانك نشربْها على ذِكْرِ الماضي الجميل الفِضّيّ الذي غدا أحلاماً كالحمائم البيض ، تَرِد ظِماءً وتصدُر ظِماءً ، فأين ماؤك ؟

هل حقٌّ أن جَنّتك أوشكت أن تَصَوّح ، وأن يَنبوعَك كاد أن يغيض ؟ إذن فأين أنتَ في هذه الدنيا الصاخبة التي تُدَوِّي في المشرقيْن ، وتضطرب في المغربيْن ، وأنت مُنْطَوٍ على نفسك ، عاكفٌ على أحزانك ، سادرٌ في آلامك ، يُشجيك أن أعز الإخوان عليك قد هجرك ، وأن مرضاً ألمّ بصاحبك فقطعه عن الدنيا قد كدّر عليك صفو الحياة ، وأن المروءة والوفاء قد ذهبا أدراج الرياح ، فلم يكتب إليك حبيب ، ولم يحن إلى لقائك إلف ، ولم يُسَلِّكَ في وحدتك الموحشةِ مواس !!

لله يا قلمي ما أبدعت لأحبائك من جناتٍ ، وما فجّرتَ في جنّاتك من عيون ، وما جعلت فيهن من حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون !

ألم تصور لهم شباباً لا يعرف الهرم ، وجمالاً لا تمتد إليه يد الذبول ؟

ألم تلهب أفئدتهم بالحرارة التي أشعْتَها في كلماتك ، والأحرف العاشقة التي نفثتَها من شبَاتك ؟

ألم تُجوّد لهم ألحاناً أرويت بها نفوسهم الصادية ، وأسكنتهم منها في قصور عالية ، من نور وبِلَّور ؟

ألم تُبدع لهم طوبى من وَرْد وريحان ، وبهار وسُوسَان ، فنحتهم دمك ، وخلعت على شيخوختهم شبابك ، وأعشَيْتَ بطول السهر من أجْلهم عينيك ، وجلبْتَ على صاحبك العناء ليستريحوا ، والشقاء لينعموا ، والمرض ليصحوا ... وأنت مع ذاك متنفّسي الذي لا أعرف أن أشكوَ إلا إليك ... ولا أستمد العَوْن إلا منك ، ولا أفرّج الكربة عن صدري إلا بك ، ولا أستروح الحياة إلا في ظلك ، ولا أجلو صَدَأها إلا بشدوك ، ولا أنير حلكتها إلا بنور إيمانكَ ، حتى تَنقشعَ ظلماتُها بما ترقرق فيها من ضوء بيانك ، وتنجاب غياهبُها بفيضٍ من لألاء عرفانك !!

لماذا صمتّ هكذا يا قلمي الحبيب ؟ ألست تُحسِن أن تغنّي مع هذه الأقلام التي تملأ الوادي دَوِيّاً ؟ ألست تُجيد أن تنبت الزهر يانعاً في قلوب العذارى ؟ ألست تستطيع أن ترقرق الدمع في عيون المحبين ؟ ألست تقدر أن تسكب في قلوبهم رضى ورحمة ؟ ألا يسعك أن تَشْدُوَ في هدأة الليل النائم فتلين أفئدة وتسلي أفئدة ؟! هل هكذا تنسى أودّاءك المكلومين والمحزونين ؟ تخاف عليّ ؟ لماذا ؟ لأن الأطباء آثروا عافيتي على عافيتك ؟ وأي أديب لا تساقط نفسه من قلمه أنْفُساً ؟ ثُرْ على الطب يا قلمي جعلت فداءك !! إن الذي يقتلني هو هذا الصمت وذاك السكون !! ما قيمة الحياة التي تنقضي في مثل هذه العزلة الرخيصة والركود الآسن ؟! لقد مللتُ من طول ما قرأتُ فلا تجعلني أنانياً ! لماذا أعيش في سجن هذه الوحدة لنفسي فقط ، فلا يكاد الوجود يحس بي ؟ لماذا آخذ ولا أعطي ؟ لماذا جمدت الدموع في عينيّ ، والرحمة في قلبي ، والشعر في روحي ، فلست أبكي في هذه الزحمة من البكاء والآلام والدم ؟ أبأمر الأطباء تصمت عامين طويلين يا قلمي الحبيب ؟ هل انتفعت إذن بهذا الصمت الطويل ؟ هل رد جمودك بُرْدَ الشباب على جسمي المحطم ؟ هل أسَا العِلّةَ تخلّفُك عن موكب الحياة ؟ تصمت عامين كاملين في أحفل حقبة من عمر الإنسانية ، وخلال مأساتها الدامية ؟ ألا ما أرخص الحياة التي يُبقي عليها أطباؤك ، وما أحبّ إليّ أن تتخذ من دمائها مداداً يكفي لكتابة سطر في سجل محنتها !

منعك أطباؤك من إدمان السهر ، فهل نمت ؟ وحظروا عليك طول الإكباب على الكتب فهل سلوت ؟ وقالوا لك أرح

ذهنك فهل منعوا أطياف المعرفة من الإلمام به ؟ لشد ما ضحكوا عليك ولهوا بك يا قلبى الحبيب ! ولشد ما أضحكوا عليك هوميروس وإسخيلوس وصحبهما الآخرين ! !

إستيقظ إذن !

فتّح أكمامَ الورد وآماقَ النرجس وحدقَ البنفسج ، وأرْوِ روح الحديقة الظامئ مما عندك من أمواه الغزل والحب والجمال !

إستيقظ إذن ! واسكب الشعر والأضواء والمباهج فى حواشى الكون ، وأطلق بلابلك تخفف من أشجان العذارى بالتسجيع والترجيع ، وتملأ الدنيا غناء وموسيقاً !

تطمع أن تعيش عمراً طويلاً راكداً هكذا ؟ إذن ما فائدة هذا العمر الطويل الذى لا يصلك فيه بالعالم شيء ؟ ما قيمة هذا الظلام الذى لا يتألق فيه نجم ؟ ما أشبه خطأ الأطباء فى هذا بالغلطة التى وقعت فيها أورورا ! ! هل تذكر أورُورَا ؟ هل تذكر ربة الفجر ذات الأنامل الوردية ؟ هل تذكر حينما أحبَّت الفتىَ تِيثُون حبًا دَلَّه فؤادها وأرق نومها وسعَّر أنفاسها وجعلها تخر تحت أقدام الآلهة فى أولب طالبةً له الخلود ، فلما أوتيت سُؤْلها وفرحت به ، وراحت تحتسى وإياه أفاويق الغرام أياماً بعد أيام ... ذكرت أن تيتون من بنى الموتى ... وأنه لا بد أن تدركه الشيخوخة يوماً ما ... ثم كان ما خافت أورُورَا أن يكون ... وشرع الشيب يُنبت إبره فى رأس فتاها الحبيب... فلما تهدت ... و ... صبرت ! لكن الوجهَ الجميل المشرق ، والفمَ الرقيق الباسم ، والجسمَ القوى السَّامق ، والأذرع الملفوفة العاتية ، والنفس المتدفقة الحارة ، ... و ... والشباب الفَيْنان الذى كانت تلف حوله الصبوات والأمانى ... كل ذلك أخذ يخبو ويخمد ، ويتغير ويتبدل ، حتى أمسى تيتون كومة من الحطام ... والذكريات ! ! فزهدته أورُورَا وعافته ، بعد ما أسفت على أنها لم تسأل له الآلهة مع ذلك الخلود الذى لا نهاية له ، شباباً لا آخر له ... ولما ضاقت به ، تمنت على الآلهة الأمانى فمسخته ! ... وهكذا كانت خاتمة تيتون !

فهل تريد لى عمراً طويلاً كعمر تيتون يا قلبى الحبيب ؟ لشد ما يفزعنى ذلك ! لشدَّ ما تفزعنى هذه الشيخوخة التى يثقل فيها الأب على الأبناء ، ودبيب القدم المتهالك على أديم الغبراء ! إطْو عشرين حجة فى غيابة المستقبل ثم ابحث عن بريق عينيك تجد فيهما ظلاماً ، وعن تألق وجنتيك تر فوقهما قتاماً ، وعن آمال الفؤاد تجدها ملْـئه آلاماً ! !

انفذ يا قلبى إلى حديقة الحياة فوسوس فى آذان الورد ، واطبع القُبَل فوق أجياد الزنبق ، وانفث السحر فى صفحة الغدير ، وسقسق مع البلابل لتسلى المتْبولين ، وغنِّ فالقافلة قد جدَّ بها السير !

حذار يا قلبى الحبيب أن تكون متجهماً للحياة أو ناقماً على الناس ، فأنت هنا لتبدع شيئاً جميلاً فى هذه الدنيا ، أو لتكمل نقصاً من كثير من أوجه النقص التى تعيبها . . . وماذا تنقم من الناس ؟ ولماذا لا تنال شرفك بأن تكون خادمهم المتواضع ؟ ألست ترى إلى هذه الأقلام المتهافتة التى تنفث السم فى أخلاق ذويك ؟ ألست تراها كيف تغازل الشهوات النائمة ، والعواطف الرخيصة ، والألباب الشاردة ، والقلوب الضالة ؟ تفتنها بالأدب المخنث ، وتهيجها بالأسلوب الماجن ، وتمزق حياءها بالغرام الذى لا يخجل ، والفسوق الذى لا يرعوى ، والرذيلة التى جثمت على صدر فرنسا فأوهت بنيانها وزلزلت أركانها وأسلمتها للهوان والخذلان ! . . . يكتبون للشرق عن غادات بلزاك ، وقيان شاتوبريان ، والعبد الأسود الذى تَسَوَّرَ إلى شهرزاد فى لحمة الليل ليطفئ ما فى قلبها ولتطفئ ما فى قلبه ... !! يا للهول !! ماذا يكتب هؤلاء الضالون لهذا الوطن المنكوب بهم ؟ ! متى كانت مصر فى حاجة إلى فولاذ ينصب فى أخلاق بنيها كما هى اليوم ، بدلاً من هذا السم الذى تتجرعه ولا تكاد تسيغه ؟ . . . وأنت مع ذلك يا قلبى تغط فى سباتك العميق لا توقظك أحداث الزمن ، ولا تدميك صرخة الإنسانية ، ولا يفزعك أنين السماء ، ولا يُشجيك بكاء الملائكة ، ولا يُروِّعك أن يأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان ! لقد انتهت الإنسانية إلى المأساة التى أفزعت أفلاطون وأوحت إليه أحلام الطوبى ، وروَّعت توماس مور ووسوست إليه برُؤى الفردوس . . . الفردوس الجميل الشعرى الذى يلهم المفكرين ويغازل ألباب المصلحين ! ! لماذا تغمض هكذا أيها القلم كما يغمض الطفل المفزوع يرى المنظر المروِّع فيطير له لبه ، وينخلع له قلبه ، وتطير نفسه شعاعاً ؟ ألا يجد يداً

عطوفاً فتنقذه ، ولا نجدة من السماء فتباعد بينه وبين ما يرى ؟!

ألا لقد أصبحت خشيتك الأطباء تعـلة ، هي أقسى على صاحبك من العلة ؛ وصار خوفك على صحته من الداء ، داء أشق على روحه من جميع الأدواء ... وها أنتذا قد أصابك الصمم ، وجرّ عليك سكوتك البكم ، فلست تتوجع لأبناء وارسو ، ولا يضنيك أن يحصد الموت شعب روتردام ، ولا يهمك أن تنشق الأرض تحت كوفنترى ، ولا أن تبيد ستالينجراد ، ولا أن يبلع اليم جواريه ؛ ولست ترثى لعذارى كييف ، ولا يفزعك ما أنزله الثاورون بكولون .... ثم ها هي ذى اليونان العزيزة ، هيلاس الخالدة ، جنة الأولب وفردوس الخالدين ... اليونان التي حَبَسْتُك عليها طويلاً يا قلمي ، فعلمتك الجمال وألهمتك الفن وجرى منها في عودك ماء الحب ... اليونان التي وهبتك أحلامها واستودعتك أسرارها وتفيأت تحت شبابك ظلالها ... هل ذكرتها في تلك المحنة الطائلة التي لطمت فيها قفا المتشدق ، وهزمت جيوش باعة الإسفنج ، حتى أتاها الهون فأضاعوا شجاعتها بكثرة العَدد ، وطفوا فيها على مارسٌ بالعُدد ، فأذلوا الأولب ، ودنسوا رحاب زيوس ، ونشروا سمادير الكآبة على جبين ميزفا ، وأطاشوا سهام كيوبيد ، وفجروا الدمع من عيني فينوس !!

أما تزال تبكي يا قلمي الحبيب ؟! أما تزال تؤثر الصمت إشفاقاً على صاحبك ، ورثاء لأخيك ؛ إذن . . . فإليك البشرى التي تأسو علتك ، وتمسح عَبْرتك ، وترد عليك ما فاتك من شباب . . . ها هو ذا صاحبك يتفيأ ظل الجنة التي تحوطه فيها القلوب الحبيبة .. القلوب التي تطب له ما لم يطب الأساة النُطس ، وتعالجه في جنباتها الأرواح الطاهرة التي سلمت من كل رجس ، فهي لصاحبك من علته شفاء .

(د . غ)

إلى الأب أنستاس ماري الكرملي

لا... بل النحاة واللغويون ثقات!

للأستاذ عبد الحميد عنتر

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

القسم الرابع

فعلول (المفتوح الأول)

١ — جاء في « الرسالة » بالعدد (٥٠٤) بين قوسين هكذا (المفعول الأول) ، بعد لفظ (فَعْلول) ولعله تحريف ، وصوابه (المفتوح الأول) .

٢ — أثبت الأب هنا قول اللغويين : إنه لم يجيء على زنة (فَعلول) إلا لفظ (صَعفوق) وهو اللئيم من الرجال ، أو بلدة باليمامة ؛ ثم أخذ ينفخ في بوق (توت عنخ أمون الحربي) حتى أثارها حرباً شعواء ، أشنَّها على جميع اللغويين : القدامى منهم والمحدثين . قائلاً : لقد فحصت ونقبت ، وحققت ودققت ، فإذا الكلمات التي جاءت على هذا الوزن تبلغ الثلاثين أو تزيد ، وإذن فيجب نقض القاعدة القائلة : « ليس لفعلول في اللغة سوى حرف أو حرفين » وتذريتها في الهواء هباء منثوراً . انتهى كلامه بمعض تصرف

قلت (وهو ختام القول) : إن الذي قاله اللغويون وتبعهم النحاة صحيح مستقيم ، وإن القاعدة التي أسسوها متينة سليمة .

وإيفاء بما وعدت من الإيجاز أجمل ردى فيما يلي :

١ — إن الـ ٢٩ حرفاً التي زادها الأب على كلمة (صعفوق) موزعة كما يأتي :

(بعضهـا) منكر لم يثبت إلا بطريق الاستنتاج ، وهو (صعفول) لضرب من الكمأة !

(وبعضهـا) روى بالضم والفتح ، ولكن الضم أفصح وأشهر . من ذلك : عُصفور ودُستور وبُرغوث وخُرنوب (الخروب) وبرشوم (أبكر النخل بالبصرة)

(وبعضها) على زنة (فَعَلول) بفتحتين ، وهو (قَرَبوس) ، وسكون الراء لغة ضعيفة .

(وبعضها) على زنة (فَعْلون) لا (فعلول !) ومنه : حمدون وسعدون وخلدون وسحنون ، والضم في هذا أفصح ، وعبدون ، ويكثر هذا الوزن في الأعلام الشخصية .

٢ — عجبت كل العجب كيف يذكر الأب حمدون وما على شاكلته ، ممثلاً به لما جاء على (فَعلول) ، مع أن قواعد الميزان الصرفي تأبى ذلك كل الأباء . وإنما هي على زنة (فعلون) كما بنيت ، وكما هو مسطور في كتب التصريف ! !

٣ — أتحدى « الأب » أن يأتي بكلمة واحدة ، عربية أو معربة ، جاءت على رزن (فَعْلول) بفتح فسكون باتفاق علماء اللغة غير صَعْفوقَ المعرب من اليونانية كما قيل . إن فعل ذلك كنت له من الشاكرين .

٤ — كثرة ممارستي لتدريس « علم الصرف » تسمح لي بأن أستنتج السر في امتناع العرب من النطق بألفاظ على زنة (فَعْلول) استقلالاً .

وبيان ذلك ، أن العرب أكثرت من استعمال الألفاظ التي على وزن (فُعْلول) بضم الأول ، أصيلة ومعربة ، كالشمروخ (فرع العِذق) ، والأثكول والعُثكول (كلاهما بمعنى الشمروخ) ، والعُنقود والعصفور والدُّستور ، وغيرها كثير في اللغة ، ولم تستعمل على زنة فَعْلول إلا صعفوق المعرب ، ومع ذلك روى فيه ضم الأول وإن كان ضعيفاً . والسر في هذا خفة الانتقال من ضم إلى ضم بينهما سكون . فالضم في الأول يناسب الواو التي قبل الطرف . أما بناء (فَعْلول) الذي

كلامنا فيه ، فأوله مفتوح . والفتحة لا تناسب الواو التي هي بنت الضمة ، ففيه الانتقال من الفتح ، وهو خفيف ، إلى الضم وهو ثقيل ؛ ولم يحفل العرب بالسكون المتوسط الذي يخفف أمر الثقل ؛ لأن الضم بعده سكون ثم ضم ، أسلس في لسانهم من فتح بعده سكون ثم ضم ؛ لذلك كان فتح الأول في الكلمات التي ورد فيها الضم لغة ضعيفة متروكة . وهذا تعليل لما اقتضاه ذوق العرب آمل أن يكون صحيحاً .

وبعد ، فقد أثبت البحث اللغوي ، أن النحاة واللغويين ، كانوا على يقين لا يخالجه شك ، حين قالوا : (ليس في اللغة اسم على وزن فعلول غير (صعفوق) وقد انعقد الإجماع على أنه معرب دخيل ! وإذن فليس للأب أنستاس ، ولا لغيره من أرباب البحوث اللغوية بعد هذا البيان — أن يرفع عقيرته فوق المنبر الأدبي العلمي العالمي منبر «الرسالة» بقوله : (لماذا لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين) بل الأجدر به والأليق بمنزلته أن يقول : إن اللغويين والنحاة ، أعلام أثبات ثقات

وأقول أخيراً : إني لا أجد مثلاً للنحاة واللغويين مع الأب أنستاس ، إلا قول من قال :

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وقول الآخر :

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما استد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

جملنا الله بحلية الأدب ، وجنبنا مواقع الخطل والزلل ، بمنه وكرمه .

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية



للذكرى والتاريخ

طيبة تستقبل فرعون مصر

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه
في كتابه قصة الموميـــاء

[إلى جانب المصريين نحن حقاً برابرة]
تيوفيل جوتييه

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٢ —

بالقرب من سلسلة جبال ليبيا يقع حى ممنون الذى يسكنه من يهيئون حاجات الموت ، لأن عمله لا ينقطع أبداً ، وعبثاً تنتشر الحياة بضوضائها ، فالعصائب تجهز ، والتوابيت تغطى بالنقوش الهيروغليفية ، وبعض الأجداث الباردة ممتد على سرير الموت ذى القوائم التى تحاكى أرجل الأسد أو ابن آوى وينتظر أن يزين الزينة الأبدية .

ولدى الأفق الجبال الليبية تتضح قممها الجيرية فوق صفحة السماء النقية ، ويبدو جسمها الأجرد الذى نحتت فيه النواويس والقبور .

وعندما يتجه المرء ببصره إلى الجانب الآخر من النهر لا يجد المنظر أقل من ذلك جمالاً : فأشعة الشمس تكسو باللون الوردى سفح سلسلة جبال العرب ، والهيكل الضخم الهائل لقصر الشمال استطاع البعد أن يصغره قليلاً ، وقد نهضت أبراجه من الجرانيت ، وأعمدته الهائلة فوق منازل المدينة ؛ وأمام القصر تمتد ساحة فسيحة تسلم إلى النهر بسلمين على الجانبين ، وفى الوسط طريق الكباش يقود إلى برج ضخم ، يسبقه تمثالان هائلان وزوج من المسلات العالية يقطع رأساها الهرميان زرقة السماء الصافية .

وإلى الخلف من أعلى حائط السور يبدو جانب معبد آمون ، وإلى اليمين قليلاً ينهض معبد « خنسو » ومعبد « أفت » ويرى وجه برج ضخم ، ومسلتان طولها ستون ذراعاً تبينان مبدأ هذا المشى الهائل ، ذى الألف من التماثيل التى جسمها جسم أسد ورأسها رأس كبش ، ويمتد هذا المشى من قصر الشمال إلى قصر الجنوب ، وعلى جانبيه ترى هذه التماثيل الكبيرة مستديرة النيل

وبعيداً من ذلك يتراءى غير واضح فى الأشعة الوردية أفاريز عليها قرص الشمس الساحر ناشراً جناحيه الواسعين ، ورءوس التماثيل الضخمة ذات الهيئة الوادعة ، وزوايا الصروح العالية ، والطنوف المنضدة ، ومسلات من الجرانيت ، ومجموعات من النخيل يتفتح سعفها كأنه باقات من العشب ، وقصر الجنوب قد زها بحيطانه العالية الملونة ، وسواريه المزينة بالأعلام ، وأبوابه الماثلة ومسلاته ، وقطمان أبى هوله ؛ وفضلاً عن هذا ، كلما امتد الطرف استطاع أن يرى طيبة تمتد بقصورها وكليات كهنتها ومنازلها ، ويجد خطوطاً زرقاء ضعيفة ، تشير فى نهايات الأفق إلى قمم الأسوار ورءوس الأبواب

كان ميدان العرض شاسعاً قد مهد بعناية لإبداء العظمة العسكرية ، وبه أطورة يجب أن يكون قد استخدم فيها طيلة سنوات عديدة عشرات الأجناس التى قيدت إلى مصر مستعبدة ؛ وهذه الأطورة تكون إطاراً بارزاً لهذا المستطيل العظيم ، وخلفها حيطان من اللبن مصنوعة بانحناء ، ويقف عليها ، على ارتفاعات متفاوتة مئات الآلاف من المصريين الذين يظلون فى اضطراب دائم ، هذا الاضطراب الذى يميز الجمهور ، حتى حين يبدو أنه لا يتحرك ، وتلمع فى الشمس ملابسهم البيضاء أو الزخرفة بألوان ناصعة .

وخلف هذا النطاق من النظارة تجد العجلات والعربات والهوادج ، يحرسها الحوذيون والسائقون والعبيد ولها منظر شعب راجل ، فقد كان عددها عظيما جداً ، وإن طيبة عجيبة العالم القديم كان بها من السكان ما يربى على بعض الممالك

وكان الرمل المجتمع الدقيق للميدان الواسع المحاط بمليون رأس ، يلمع كأنه معدن براق تحت ضوء يسقط من سماء زرقاء ، كأنها مينا تماثيل أوزيريس

إلى الجانب الجنوبى من ميدان العرض ينقطع البناء ، وينفتح طريق محاذ لسلسلة جبال ليبيا ، ويمتد إلى بلاد النوبة العليا ، وفى الجهة المقابلة ينشق الجدار ، ويسمح للطريق أن يستمر حتى قصور رمسيس ، عابراً بين الحيطان الضخمة

سمعت من بعيد ضجة عجيبه مبهمة قوية ، كضجة البحر ، حين يقترب ، وغلبت ضوضاء الجماهير . وهكذا يصمت زئير الأسد مواء جماعات ابن آوى . وبعدئذ أخذت تتميز أصوات الآلات من بين هذه العاصفة الأرضية التى أثارتها عربات الحرب

والمشية المتزنة للرجال من المحاربين ؛ وقد ملأ هـذه الناحية من السماء غبار مصفر كهذا الذى تثيره رياح الصحراء ؛ ومع ذلك كان الجو راكداً فلم تـكن تهب نسمة واحدة ؛ وأدقّ سعف النخل ظل ساكناً لا يتحرك ، كما لو كان منحوتاً من الجرانيت على رءوس أعمدة من الصخر ؛ ولم ترتعش على الخدود الندية للسيدات شعرة واحدة ، والعصائب المزخرفة التى زينهن بها الحلاقون تمتد متكاسلة خلف ظهورهن

هذا الغبار الناعم قد أثاره الجيش وصار فوقه كسحاب أشقر

زادت الضوضاء ، وانشقت عاصفة الغبار ، وبدأت الصفوف الأولى من الموسيقيين تبدو فى الميدان الواسع لتنعش الجمهور الذى بدأ يتعب من الانتظار تحت شمس تذيب الجماجم إلا جماجم المصريين

وقفت طليعة الجيش من الموسيقيين بضع لحظات ، وأخذ جماعات القسس والمنتخبون من أعيان مدينـة طيبة يعبرون ميدان العرض ليستقبلوا فرعون ، واصطفوا على هيئة سياج ، عليهم أعظم مظاهر الاحترام ، وتركوا الطريق حراً لمرور الموكب

لقد كانت الموسيقى التى تستطيع وحدها أن تـكوّن جيشاً صغيراً ، تتألف من الطبول والطنابير والأبواق والصلاصل

مرت الفرقة الأولى تنفخ لحناً مدوياً هاتفاً بالنصر ، فى أبواق قصيرة من النحاس اللامع كأنه الذهب ، وكل واحد من الموسيقيين يحمل نفيراً آخر تحت إبطه ، فـكأن الآلة هى التى تتعب لا الرجل

كان زى هؤلاء الجند مكوناً من نوع من السراويل قصيرة ، مضمومة بمنطقة طرفاها العريضان يتدليان إلى الأمام ، ومن عصابة غرس فيها ريشتان من ريش النعام ، مختلفتا الاتجاه ، وهذه العصابة تضم شعرهم الثقيل . ووضع الريش كذلك يذكرنا بقرون الجمارين ، ويمنح الذين يتزينون بها منظراً غريباً كالحشرات

وضاربو الطبول يلبسون دروعاً مثناة بخشب ، ويضربون بقضب من خشب الجميز جلد حمر الوحش لطبولهم المعلقة بحمالات من الجلد ، متبعين النسق الذى يعينه رئيس لهم يضرب بكفّيه ، وكثيراً ما يتجه إليهم

يأتى بعد ضاربى الطبول اللاعبون بالصلاصل ، وهؤلاء يهزون آلاتهم بحركات عنيفة متقطعة ، ويدقون فى نظام حلقاتهم المعدنية على قضب أربعة من البرنز

وحاملو الطنابير يعرضون أمامهم طنابيرهم المستطيلة والمحمولة بعصابة خلف أعناقهم ، ويدقون عليها بقوة بقابض أيديهم

كل جماعة من الموسيقيين ليست بأقل من مائتى رجل ، ولـكن عاصفة الضوضاء التى تنتج من الأبواق والطبول والصلاصل والطنابير ليست بذات خطر ، ولا هى مخيفة تحت قبة السماء الواسعة ، وفى وسط هذا الفضاء الشاسع ، وبين طنين هذا الشعب ، وعلى رأس جيش يتقدم وله عجيج المياه الثجاجة

وهل كثير أن يتقدم ثمانمائة من الموسيقيين ركب فرعون ، محبوب آمون — رع ، والذى أقيمت له التماثيل الضخمة من البازلت والجرانيت ترتفع إلى ستين ذراعاً ، وقد نقش اسمه على الآثار الخالدة ، ونحت تاريخه وصور على حيطان ردهات المعابد ذات الأعمدة ، وعلى جدران الأبراج ، والأفاريز التى لا تنتهى ، وصور صوراً لا حصر لها ؟ أيـكون كثيراً على ملك قابض على ناصية مائة شعب مغلوب ؟ على حاكم يؤدب الممالك بسوطه من أعلى عرشه ؟ على شمس حية تبهر الأعين وتزيغها ؟

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أحمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

من معارج الروح

نحن ؟ !

نَسَخَتْنِي رُوحِكِ السَّمْحَةُ شِعْراً وَمُنَى
وَشَدَتْ بِي فى الْمَحَارِيبِ صَلاَةً وَغِنَا
ثُمَّ نَدَّتْ أُفُقَ الرُّوحِ جَلاَلاً وَسَنَا
أَنْتِ يَا دُنْيَايَ مَنْ أَنْتِ ؟ وَآهاً ! مَنْ أَنَا !

أَنَا فِكْرٌ عَاشَ فِى ظِلِّكِ فَنَّا سَامِيَا
أَنَا طَيْفٌ رَفَّ فِى وَادِيكِ مَغْنًى شَاكِيَا
أَنَا نَايٌ ذَابَ فِى قُدْسِكِ لَحْناً شَادِيَا
أَنَا رُوحٌ طَارَ فِى الْحُبِّ فَرَاشاً صَادِيَا

أَنَا هَذَا ، مَرَّةً أُخْرَى ، فَمَنْ أَنْتِ إِذَنْ ؟
أَنْتِ مَنْ تَسْمُو وَتَسْتَعْلِي عَلَى فِكْرِ الزَّمَنْ
أَنْتِ مَنْ طَهَّرْتِ مِحْرَابِي بِأَقْبَاسِ الْفِتَنْ !
أَنْتِ مَنْ فَجَّرْتِ عُودِي فى سَمَوَاتِكِ فَنْ

ثُمَّ مَنْ نَحْنُ جَمِيعاً ؟ نَحْنُ خَمَّارٌ وَشَرْبُ !
نحن مَسْحُورَانِ يَا دُنْيَايَ : عَيْنَانِ وَقَلْبُ ؟
نَحْنُ قِدِّيسَانِ فى الْمَعْبَدِ : قُرْبَانٌ وَرَبُّ !
نَحْنُ فِى الدُّنْيَا ، كَمَا شِئْنَا ، صَبَابَاتٌ وَحُبُّ !

(القاهرة) محمد السيد صابر

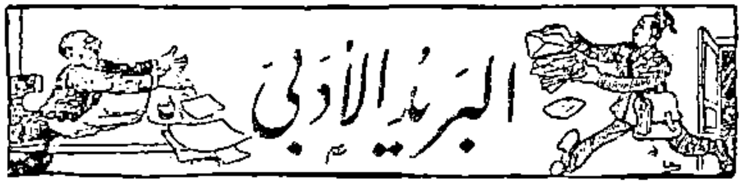
دمعة على الماضي !

دَارَتْ بِقَلْبِي ضَيْعَةُ الْحَيْرَانِ   فِي اللَّيْلِ وَامْتَصَّتْ دَمِي أَحْزَانِي
وَوَجَدْتُنِي سَأْمَانَ لَيْسَ يُحِيطُ بِي   إِلَّا طُيُوفُ مَتَاعِبِي وَهَوَانِي !
شفَانَ أَرْسُفُ فِي قُيُودِ مَوَاجِعِي   وَتَشُوقُ نَفْسِي فَرْحَةَ الطَّيَرَانِ
جْتَازُ أَشْجَانِي الَّتِي قَدْ أَغْرَقَتْ   أَسْرَارَهَا رُوحِي إِلَى أَشْجَانِ !
فَكَأَنَّ رُوحِي مَوْجَةٌ مَدْفُوعَةٌ   غَمَرَتْ صُخُورَ الْحُزْنِ فِي شُطْآنِي
لَكِنْ أُحِسُّ بُرُوزَهَا لَا يَنْثَنِي   مُتَجَمِّداً بِالْيَأْسِ فِي أَرْكَانِي !
وَكَأَنَّ عُمْرِي شَاطِئٌ مُسْتَوْحِشٌ   قَدْ بَاعَدَتْهُ غَمْرَةُ النِّسْيَانِ
فَسَعَتْ مِنَ الْمَاضِي إِلَيْهِ زُمْرَةٌ   مِنْ ذِكْرَيَاتٍ عَذْبَةِ الْأَلْوَانِ
أَذْكَى تَخَطُّرُهَا بِنَفْسِي حَسْرَةً   أَبَدِيَّةً مَشْبُوبَةَ النِّيرَانِ ! …
مَا مَاتَ مَاضِيَّ الَّذِي أَحْبَبْتُهُ   لَكِنَّهُ يَمْشِي عَلَى وُجْدَانِي !
إِنِّي أَرَاهُ ! غَيْرَ أَنَّ زَمَانَهُ   وَلَّى ، وَعَزَّتْ خُدْعَةُ السُّلْوَانِ
وَكَأَنَّ ذَاكَ الْعَهْدَ أَيْكٌ سَاحِرٌ   أَنَا مِنْهُ مَطْرُودٌ عَنِ الْأَكْنَانِ
وَلَئِنْ يُحَلِّقْ بِي حَنِينِي فَوْقَهُ   فَالَيْهِ مِنِّي دَمْعَةُ الْحِرْمَانِ
تِلْكَ الْعِشَاشُ سَكَنْتُهَا وَحَبَبْتُهَا   هِيَ مَا مَضَى مِنْ رَاحَتِي وَأَمَانِي
أَوَّاهُ لَوْ حَنَّتْ إِلَيَّ وَأَوْمَأَتْ   لِي أَنْ أَعِيشَ بِظِلِّهَا الْفَيْنَانِ
وَحَطَمْتُ هَذَا السَّدَّ عَنِّي عَابِراً   نَحْوَ الْقَدِيمِ مَفَازَةَ الْأَزْمَانِ
مُتَخَطِّياً أَسْوَارَ عَيْشٍ حَاضِرٍ   قَدْ خَصَّنِي بِالظُّلْمِ وَالنُّكْرَانِ
وَجَثَوْتُ فِي أَطْلَالِهِ مُتَمَنِّياً   لَوْ أَنَّهُ بَاقٍ ! بِلَا دَوَرَانِ !
لَكِنْ شِرْعَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا جَرَتْ   بِالْعُمْرِ نَحْوَ نِهَايَةِ الْإِنْسَانِ
هَيْهَاتَ أَحْيَا فِي الْقَدِيمِ ، فَقَدْ مَضَى   وَأَفَقْتُ مِنْهُ عَلَى الْأَسَى أَبْكَانِي

عبد الرحمن الخميسي

عودة « الرسالة »

جنّ بى شوقى إلى طيف الرسالة   فتلفّت عسى ألقى خياله !
مهبط الإلهام والسحر العجيب
ومنار العلم والفنّ الحبيب
والهدى البسّام فى ليل الكروب
كم أضاءت ظلمة الشك الرهيب
بالذى يفتن من سحر الأديب
والذى يبهر من فنٍّ خصيب
كيف غابت عن عيون وقلوب
علّمتها كيف تشدو بالنسيب



ذو القرنين هو الإسكندر المقدوني

ظهر في العدد — ٥٠٦ — من مجلة الرسالة الغراء مقال لبعض الفضلاء تحت عنوان — هل الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور في القرآن ، وقد أنكر فيه أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر ، وذهب في ذلك مذهباً يكفي في ظهور بطلانه أن الأدلة التي أتى بها لإبطال المذهب الأول تبطله أيضاً . ولا أضعف من مذهب تقوم أدلة صاحبه على بطلانه ، فقد أنكر أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر لأنه كان وثنياً ، وذو القرنين بنص القرآن كان مؤمناً ، ولأن ذكر القرآن لذي القرنين كان جواباً عن سؤال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم عن شخص لم يذكروا اسمه ، جاب الدنيا شرقاً وغرباً ، وكان له ملك عظيم ، وهم يقصدون بذلك ما ورد في رؤيا دنيال أنه رأى كبشاً ذا قرنين ، وقد فسر ذلك بمملكة فارس التي لم تكن ظهرت بعد ، ثم رأى كبشاً ذا قرن واحد يهجم على الكبش ذي القرنين ويقتله ، وقد فسر ذلك بملك من اليونان يظهر ويقضي على دولة الفرس ؛ وعلى هذا يكون المقصود بذي القرنين دولة الفرس، وبذي القرن الواحد الإسكندر المقدوني

فالدليل الأول إذا أبطل أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر يبطل أيضاً أن يكون هو دولة الفرس ، لأنها كانت دولة وثنية غير مؤمنة . والدليل الثاني إذا أبطل أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر ، لأنه كان في تلك الرؤيا ذا قرن واحد ، يبطل أيضاً أن يكون ذو القرنين هو دولة الفرس ، لأن سؤال اليهود كان عن شخص لا عن دولة ، والقرآن صريح أيضاً في أنه كان ملكا واحداً لا ملوكا متعددة ، وحمله مع ذلك على دولة الفرس بمكان من التهافت ، وهو أضعف ما قيل في ذي القرنين من الأقوال الكثيرة

هذا ولا شك أن رؤيا دانيال كما لم تقتض أن يلقب الإسكندر بذي القرن الواحد ، لا تمنع أن يلقب بذي القرنين لسبب من الأسباب . وقد جاء في مجلة المقتطف أنه عثر على نقود مضروبة في عهده ، فوجد فيها صورته والتاج بقرنيه على رأسه ، ولا أدل من هذا على أنه كان معروفاً بذلك اللقب . وقد ذكر ابن العبري المؤرخ السرياني أن الإسكندر المقدوني هو الذي بنى سد يأجوج ومأجوج ، وأنه شرع بعده في بناء السد الأعظم بمدينة باب الأبواب ، فوضع له أساساً عظيما ، وقد بحث عنه ملوك الفرس حتى عثروا عليه ، وبنوا عليه ذلك السد الذي فرغوا منه في عهد كسرى أنوشروان . وكاتب ذلك المقال يرى أن هذا السد هو سد يأجوج ومأجوج ، فإذا صح ذلك فهو من بناء الإسكندر كما ذكره ابن العبري

وقد وقفت في مقالي الأخير من مقالاتي — الحضارات القديمة في القرآن الكريم — بين إيمان ذي القرنين في القرآن وبين ما ورد في تاريخ الإسكندر مما لا يتفق ظاهره مع ذلك ، وأزيد على ذلك هنا أنه ورد في كتاب مناهج الألباب المصرية لرفاعة بك ، أن الإسكندر كان يتظاهر باتباع ديانة ما يفتحه من الممالك وإن لم تكن صحيحة في رأيه ، يقصد بذلك التقرب إلى أهلها ، وحملهم على حب حكمه . على أن تلك الآلهة كانت في أصلها رجالاً من عظماء قومهم أو صلحائهم ، ومن الممكن أن يكون تعظيم الإسكندر لها بالنظر إلى أصلها ، وأنه لم يكن يعتقد أنها آلهة ، وهذا يكفي في نفي الوثنية عنه . ولا يفوتني أن أنبه صاحب المقال إلى أن هولاكو كان أسبق من تيمورلنك

عبد المتعال الصعيدي

جن بي شوقي إلى طيف الرسالة فتلفت عسى ألقى خياله

فرحة غنّت بأشواق الأماني
للذي ألهم أسرار المعاني
والذي أيقظ وسنان الأغاني
وأشاع الفن في كل مكان
وأحال الفن ذوباً من جنان
يهبط الإلهام من سحر البيان
يجتلي الخلد على مرّ الزمان

عاد ! ! ها قد عاد لي طيفُ الرسالة !
فانثنى قلبي ونادى ... يا جلاله !

حسين محمود البشبيشي

١ — فتاوى السيد رشيد رضا

نشرت الرسالة فى العدد (٥٠٤) أن معالى وزير العدل قد أقر جمع فتاوى فضيلة مفتى الديار المصرية الحالى ، ورأى « أن الفائدة تكون أتم والنفع أعظم إذا انضم إلى ذلك مقارنة هذه الفتاوى بما هو محفوظ من فتاوى المغفور لهم مفتى مصر السابقين وخاصة فتاوى الأستاذ الإمام محمد عبده والشيخ بخيت »

وهذا الذى أقره وزير العدل إنما هو ولا ريب عمل جليل يستأهل من أجله كل ثناء وحمد ؛ بيد أننا نرغب زيادة فى تمام الفائدة والنفع أن تشمل هذه المقارنة فتاوى المغفور له العلامة الجليل محمد رشيد رضا من أحكم الفتاوى التى صدرت فى الثلث الأول من هذا القرن شاملةً لكل باب من أبواب الفقه الإسلامى . وأن الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم لأول من يعرف فضل هذه الفتاوى ويقدرها حق قدرها ، وقد كان يطلب من صاحبها قبل موته جمعها وطبعها .

٢ — حول ذكرى السيد جمال الدين

لقد أحسن الأستاذ محمود شلبى فيما كتبه بالرسالة عن السيد جمال الدين ، ذلك الذى قال فيه الفيلسوف الفرنسى أرنست رنان « كنت أتمثل أمامى عند ما كنت أخاطبه ابن سينا أو ابن رشد أو واحداً من أساطين الحكمة الشرقيين »

وقال فيه الأستاذ الجليل مصطفى عبد الرازق باشا « حسبُه من عظمة ومجد أنه فى تاريخ الشرق الحديث أول داع إلى الحرية وأول شهيد فى سبيل الحرية » وذكر عنه الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى بك « أن الأمم الشرقية جمعاء مدينة بنهضتها السياسية والفكرية إليه » ولا نُفيض فى القول لأننا الآن على غير طريق دراسة شخصية هذا الرجل الذى كان أمة وحده ، وإنما نذكر أنه إذا كان إحياء ذكرى العظماء هو بعض ما يجب لهم على الناس ، وأن الكاتب الفاضل قد أحسن فيما كتب عن ذكرى هذا العظيم الذى جحدنا فضله ونسينا ذكره فإننا نبين مضطرين — خدمة للحق — أنه قد نقل إلى كلمته الوجيزة أكثر من خمسين سطراً بنصها مما كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده وأديب إسحاق وسليم العنحورى والسيد رشيد رضا فى تاريخ السيد الأفغانى ولم يشر إلى هذا النقل (راجع الصفحات ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٧٣ من الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام)

ولقد كان الأجدر بالكاتب أن يشير إلى ذلك رعاية لحرمة الأمانة العلمية وتنويهاً بمن سبقونا إلى ترجمة السيد وبيان فضله .

(المنصورة) محمود أبو رية

توضيح شبهة فى كتاب عبقرية عمر

عبقرية عمر شاهد عدل كبقية الشواهد على عبقرية الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . فقد حلل ووجه كثيراً من أقوال عمر ومواقفه ، ولم يترك فى ذلك مغمزاً لغامز أو اعتراضاً لناقد . وعهدى بالأستاذ أنه ثبت، وما نجح إلا النادر فى الاعتراض عليه ؛ وذلك يرجع لترويه فى كتابته ؛ ولكنه استوقفنى قول الأستاذ فى عبقرية عمر صفحة (٢٨٥) أن المتعة كانت حلالاً أيام النبى عليه السلام ، وأن سيدنا عمر هو الذى نهى عنها وضرب عليها ، وأتى بقول سيدنا عمر : متعتان كانتا على عهد رسول الله ، أنا أنهى عنهما واضرب عليهما .

والواقع ليس كذلك ، لأن المتعة حرمها النبى عليه السلام عام حجة الوداع ولم يتركها حلالاً إلى خلافة عمر ؛ وفى الصحيحين ما يؤيد هذا . نعم إن المتعة كانت حلالاً فى صدر الإسلام للمضطر ، ثم حرمت عام خيبر ، ثم أبيحت عام الفتح ، ثم حرمت عام حجة الوداع ، وهذا رأى الشافعى ، وقال ما معناه أنه لا يعلم شيئاً تكرر فيه النسخ إلا المتعة . والبيهقى يصحح تحريمه عام الفتح لئلا يلزم النسخ مرتين . وللأستاذ بعد هذا خالص تقديرنا وإعجابنا

(فلسطين) رضا محمد ديباجة
إمام الفرعون

السعادة فى نظر ديكارت

كتب ديكارت إلى الأميرة إليزابث رسالة بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٦٤٥ ، قال فيها : « إننا لسنا نجد فرداً واحداً لا يرغب فى أن يكون سعيداً ، ومع ذلك فإن عدد الذين ينالون السعادة فعلاً عدد ضئيل ، لأن كثيرين من الناس لا يعرفون الوسيلة التى بها يحققون لأنفسهم السعادة » . وليست سعادة الإنسان — فى نظر ديكارت — متوقفة على الحظ Fortune أو الظروف

الخارجية ، وإنما هى تتوقف أولاً وبالذات على الفرد نفسه .

ولذلك نرى ديكارت فى رسائله التى كتبها إلى الملكة كريستين ، يحاول أن يثبت لهـا أن « كل إنسان عاقل يجب ألا يفحص عن[1] خيره وسعادته إلا فى نفسه ، وأننا نستطيع أن نحصل على كل ما يلزمنا بأقل جهد وأدنى تكاليف »

«Tout homme raisonable ne doit chercher qu'en lui-même son bien et sa félicité, et que nous avons à peu de frais tout ce qu'il nous faut» (Let. sur la Morale; Introd. P. XXIII.)

وكان تأثير ديكارت على الملكة كريستين تأثيراً قوياً فعالاً ، حتى أنها كتبت تقول فى ٢٧ فبراير سنة ١٦٥٤ ، بعد تنازلها عن عرش السويد : « إننى فى هدوء واطمئنان ، لأن خيرى ليس فى يد القدر ، وسعادتى ليست تحت سلطان الحظ . أجل ، فأنا سعيدة مهما تكن الظروف ومهما يحدث لى »

وقد كتب ديكارت إلى الأميرة إلزابيث ، فى شهر مايو سنة ١٦٤٥ ، يقول : « إننى أميل دائماً إلى أن أنظر إلى الأشياء التى تتمثل أمام ناظرى ، من « وجهـة » نظر تبديها لى حسنة تجلب الرضى ، بحيث أن فى وسعى أن أقول : إن سعادتى الأولى تتوقف علىّ وحدى » ، وفى هذه العبارة ينحصر سر السعادة فى نظر ديكارت ، لأنه « ليس هناك أحداث أليمة ممعنة فى الشر — فى نظر الناس — ، إلا ويستطيع الإنسان بعقله وفطنته أن ينظر إليها من « وجهة » تبديها له مواتية نافعة » وفضلاً عن ذلك فإنه « ليس ثمة شر ، لا يستطيع المرء أن يستخرج منه وجهاً من الخير أو المنفعة ، إذا كان لديه عقل سليم »

«... il n'y a aucun mal, dont on ne puisse tirer quelque avantage, ayant le bon sens.» p. 55.

وأما خير وسيلة لتحصيل السعادة ، فتلك هى أنه « إذا وجد الإنسان نفسه حيال اعتبارات مختلفة ، كلها صحيحة ، ولكن بعضاً منهـا يحملنا على أن نكون سعداء ، والبعض الآخر — بخلاف ذلك — يحول دون تحصيل السعادة ؛ فإنه يبدو لى أن الحكمة تتطلب أن نسارع إلى أن نأخذ بالاعتبارات التى توفر لنا السعادة وتكفل لنا الرضى . . . وإذ كانت كل أمور الحياة هى مما يمكن أن يُنظَر إليه من جانب فيبدو حسناً طيباً ، وينظر إليه من جانب آخر فيبدو ناقصاً معيباً ، فإنى أعتقد أنه إنْ وجب على المرء استخدام مهارته فى أمر ما ، فذلك أولاً وبالذات فى أن يعرف كيف ينظر إلى أمور الحياة من « وجهة » تبديها له محققة لفائدته ومصلحته ، بشرط أن لا يكون فى ذلك خادعاً لنفسه » (من رسـالة إلى الأميرة إلزابيث بتاريخ ٦ اكتوبر سنة ١٦٤٥)

زكريا إبراهيم

(١) من الأخطاء الجارية على أقلام بعض الكتاب قولهم : « فحص الشىء » بتعدية الفعل ، والصواب أن يقال فحص عن الشىء بمعنى بحث عنه ، كما ورد فى معاجم اللغة ومصنفات الكتاب العرب

أسد أباد : لا أسعد أباد

نشر الأسـتاذ محمود شلبى كلمة طيبة حيا بها فقيد الشرق السيد جمال الدين الأفغانى بمناسبة ذكرى وفاته . إلا أنه اشتبه على مؤرخى السيد موطن ميلاده

وقد ولد السيد فى شهر شعبان ١٢٥٤هـ فى قرية (أسد باد) لا (أسعد أباد) فقرية (أسد أباد) هى التى تقع على الساحل الشرقى لوادى (كُنَر) مديرية فى الشرق لعاصمة أفغانستان (كابل)

وهذه القرية الآن خربة ولم يبق منها إلا الأثر . فوالد السيد هو معروف السيد صفدر الشريف : وأما والدته فمن جهة الأم من أشراف أهل البيت ، وأما من جهة الأب فمن قبيلة (يوسف زاى) الأفغانى

محمد عبد الغفار الهاشمى الأفغانى

تصويب

حدثت أخطاء مطبعية فى القسم الأول من مقال « لا . . . بل النحاة واللغويون ثقات » أنبه على أهمها هنا ، مراعياً أن اللفظ الأول من كل اثنين خطأ ، وما بعده الصواب وهى :

كأنه يفسر — كأن يفسر . قريب — مريب . مراجع — مرجع . ظيوبى — ظربى . يدلها — يدخلها . يفهم — تفهم

عبد الحميد عنتر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)